

ملاحظات حول «الحركات الناصرية في لبنان: إشكاليات التعدّد والانقسام والتحوّل»

عماد علي فحص(*)

عضو قيادي في الاتحاد الاشتراكي العربي - التنظيم الناصري.

طالعت بمزيد من الاهتمام البحث الذي حمل عنوان «الحركات الناصرية في لبنان: إشكاليات التعدّد والانقسام والتحوّل» ضمن كتاب الأحزاب والحركات والتنظيمات القومية في الوطن العربي، الصادر عن مركز دراسات الوحدة العربية^(١)، حيث يهمني أن أبدي بعض الملاحظات توضيحاً وتصحيحاً لبعض مما جاء فيه.

أولاً: حول «إشكالية التعبير عن الحضور»

يورد الكاتب في المقدمة الأسس التي يعتمد عليها للنظر في الأشكال التنظيمية للقوى الناصرية، حيث يرى في تناوله المشهد الجماهيري أنه بقي «موحداً في الشكل، ومفككاً في المحتوى والمضمون، وبقي في الوقت نفسه عصياً على التنظيم والتأطير، يتسم بالعفوية والولاء للقائد الرمز». ويتابع، في تناوله الأشكال التنظيمية في الساحات العربية التي ظهرت في أواخر الخمسينيات من القرن العشرين، أن تجربتها لم «ترق إلى مستوى التنظيم السياسي أو الحزب المنظم الذي يعتمد هيكلية تنظيمية محدّدة، وأصولاً تراتبية للعضوية، وبرامج متعددة للتثقيف والدعوة، وآليات للمحاسبة والمراقبة والحشد والتعبئة».

يبدو مما سبق أن الكاتب اعتمد الأطر التنظيمية للأحزاب الغربية في تقييم التنظيمات الناصرية، في حين إن الهيكلية التنظيمية والتراتبية الحزبية وبرامج التثقيف ما هي إلا «أحد» أشكال التنظيم التي اعتمدتها الأحزاب الغربية، وبشكل خاص الحزب الشيوعي في الاتحاد السوفياتي الذي بلوره لينين في نهاية القرن التاسع عشر، ولكنه ليس الشكل الوحيد،

imadfahs@hotmail.com.

(*) البريد الإلكتروني:

(١) عبد الغني عماد، «الحركات الناصرية في لبنان: إشكاليات التعدّد والانقسام والتحوّل»، في: الأحزاب والحركات والتنظيمات القومية في الوطن العربي، إشراف محمد جمال باروت (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ٢٠١٢)، ص ٥٧٠ - ٥٩٤.

ولا يمكننا اعتباره «النموذج» الذي يجب اعتماده في كل المجتمعات، ولكل الثقافات.

إن نضوج قضية مصيرية في وجدان الجماهير، وبروز طليعة تحمل هذه القضية وتحولها إلى هدف محدّد تسعى إلى تحقيقه في ظروف ناضجة، تستطيع أن تؤطر الجماهير وتعبئها وتدفعها إلى الفعل السياسي.

إن هذا التأطير المثلث الأضلاع (قضية - قائد (أو طليعة) - هدف) هو الذي فجّر ثورة يوليو (تموز) ١٩٥٢، وهو الذي دفع الجماهير إلى التصديّ للعنوان في عام ١٩٥٦، ويمكن سرد أمثلة أخرى لا مجال لها هنا.

إن هذه الأطروحة حول التأطير والتعبئة، ومن ثم التنظيم، في الفعل السياسي، أصبحت حقيقة مؤكدة من خلال الانتفاضة الجماهيرية في الثورات العربية في السنتين الماضيتين.

إن التيار الجماهيري الناصري في لبنان كان يتحرّك منذ الخمسينيات من القرن العشرين تبعاً لقضيته الوطنية والقومية، أي عروبة لبنان والتصديّ للاستعمار والأحلاف (الحلف الإسلامي وحلف بغداد)، كما في ثورة ١٩٥٨ ودعمه للقضية الفلسطينية وقضايا التحرر العربية والالتحام بالثورة الفلسطينية، والتصديّ للتيارات التقسيمية المرتبطة بالعدو الإسرائيلي، والاشتراك في المقاومة الوطنية اللبنانية لتحرير الأرض من الاحتلال الإسرائيلي.

إن الجماهير الناصرية التزمت هذه القضايا، والتزمت بالفكر والبرامج والأهداف التي انبثقت عنها، وسعت وناضلت تحت قياداتها القومية والوطنية والمحلية أيضاً من أجل تحقيق هذه الأهداف، بفعالية وبتنظيم مخصوص ولد وتبلور وتطور من خلال ثقافتها ونضالها.

إن استمرار حراك الجماهير الناصرية، وسعيها إلى تحقيق أهدافها، دفعها إلى «إبداع» أطر وآليات لتطوير وتنظيم فعلها، لم تكن دائماً مجرد هيئات تراتبية أو قواعد صارمة وقرارات حزبية وغير ذلك، بل أنتجت أطراً مرنة تستطيع أن تستوعب هذه الجموع الناصرية على امتداد الوطن، كما استطاعت أن تجذّر هذه القضايا لينبثق عنها فكر وطروحات وبرامج.

إن تحقيق الأهداف المحدّدة جعل هذه القوى الناصرية تنشئ هيئات تنسيق ولجان عمل وقيادات محلية تبعاً لكل مهمة، ولكل مرحلة.

ثانياً: حول إشكالية التعدّد والتوحد والانقسام

لا يمكن إغفال ما أورده الكاتب في معرض تناوله إشكالية التعدّد والتوحد والانقسام، كما في عرض العوامل التي أدت إلى هذه الحالة، إلا أنني أودّ أن أوضح مسألتين:

١ - إن هذا التعدّد ليس بنيوياً، أي ليس ملازماً للفكر الناصري ولتجارب الناصريين، وإن استمرار الانتماء إلى الفكر الناصري من قبل جماهير واسعة على امتداد الوطن العربي،

رغم تعدد التنظيمات، وتبني النهج الناصري في طرح القضايا الراهنة، والاسترشاد بنضال الناصريين وتجاربهم في كل الوطن العربي خلال عقود، إنما يبرهن على أن هذا التيار لا يزال مستمراً في تصديّه لقضاياه المصيرية، ولم يتخلّف عن أية مواجهة، ولنا في تجربة الحركات الناصرية في مصر ودورها الطليعي في ثورة كانون الثاني/يناير خير دليل على ذلك.

٢ - على الصعيد اللبناني، فإن معظم التنظيمات الناصرية نمت وانطلقت من بيروت التي كانت الحاضنة التي ضمت إليها كل هذه التنظيمات على تعددها، والتي بقي بعضها ولم يضمحل بعد كل ما واجهته من حروب، وفي ظلّ الهجمة الشرسة للقضاء عليها بمختلف الوسائل بدءاً من الملاحقات الأمنية، مروراً بالإفساد المالي وإنكاء العصبية الفئوية والمناطقية، وصولاً إلى المذهبية. وبالرغم من كل ذلك، يبقى الأمل معقوداً على مجرد وجود تنظيمات ناصرية تلنقي على برامج عمل مشتركة أو رؤية سياسية واحدة، للخروج من الحالة المذهبية المفتّنة إلى رحاب القومية الجامعة.

ثالثاً: حول الحركات الناصرية الناشطة في الساحة اللبنانية

في تناول هذا الجزء من البحث، يمكن أن نورد ملاحظتين اثنتين:

١ - لم يف الكاتب التنظيمات الناصرية التي تناولها حقها، لا بل إن القارئ يخرج باستنتاج مفاده أن «أحسنها سيئ»، وبالنتيجة فإن الكاتب وضعها في الموقع السلبي، ولم يحفظ لها أية إيجابية.

٢ - لقد أغفل الكاتب في هذا الجزء بعض التنظيمات الناشطة التي كان لها وجود ودور بارز، ونخص بالذكر «حركة القوميين العرب» التي تعتبر التوأم الروحي لثورة ٢٣ يوليو، والأب الروحي لجميع التنظيمات الناصرية، ذلك أنها حركة جماهيرية وقومية بما لها من امتداد في أرجاء الوطن العربي، وكذلك «وحدة القوى الناصرية» التي ولدت من رحم «حركة القوميين العرب» واندمجت لاحقاً في تنظيم «الاتحاد الاشتراكي العربي - التنظيم الناصري»، الذي استمر بعد الانقسام الذي شهدته الاتحاد في العام ١٩٧٦ بقيادة منير الصياد.

رابعاً: حول الاتحاد الاشتراكي العربي - التنظيم الناصري

بما أن قسماً من البحث تناول تاريخ الحركات الناصرية الناشطة في الساحة اللبنانية، فإنه حفاظاً على الدقة، ومن أجل تسجيل مسيرة التنظيم النضالية في ذاكرة التاريخ، فإننا نورد بعضاً من الأعمال والوقائع التي قام أو شارك بها «الاتحاد الاشتراكي العربي - التنظيم الناصري» في المفاصل التاريخية التي مرّت على لبنان:

١ - لقد كان للتنظيم منذ بدايات العام ١٩٧٥ شرف المواجهة والتصدي، سياسياً وعسكرياً، وفي أكثر من موقع، لمشروع تقسيم لبنان، والدفاع عن عروبتة، والدفاع عن القضية الفلسطينية، ومن ثم المشاركة في قتال إسرائيل بالتزامن مع انخراطه في النضال

المطلبي من أجل قيام الديمقراطية الحقيقية، وتحقيق العدالة الاجتماعية، في أقل تقدير، بما أنهما يمثلان أهم مرتكزات الناصرية.

٢ - إن الاتحاد الاشتراكي العربي - التنظيم الناصري هو أحد مؤسسي الحركة الوطنية اللبنانية بقيادة الشهيد كمال جنبلاط، وهو أيضاً من مؤسسي منظمة الأحزاب الاشتراكية في حوض البحر الأبيض المتوسط.

٣ - كان التنظيم العمود الفقري في خوض معارك منع التقسيم، أو ما عرف بحرب الفنادق عند انكشاف أمر خارطة التقسيم التي قدمها المحامي موسى البرنس إلى رئيس الجمهورية الأسبق كميل شمعون الذي كان يترأس في حينه مجلس إدارة شركة «بروتين». وكان قد تم الاستحصال على هذه الخارطة يومذاك وقدمت إلى مصطفى سعد.

٤ - شارك التنظيم في القتال في جنوب لبنان خلال الاجتياح الإسرائيلي الأول عام ١٩٧٨، حيث دفع بعشرات المقاتلين الذين خرّقوا الحصار، ودخلوا إلى مدينة صور الساقطة عسكرياً، وقدم عدداً من الشهداء في هذه المواجهات.

٥ - خلال الاجتياح الإسرائيلي عام ١٩٨٢، وأثناء حصار بيروت، ترأس التنظيم، بشخص منير الصياد، اللجنة الأمنية السياسية العليا التي ضمت كافة القوى الوطنية اللبنانية من دون استثناء، وكل الفصائل الفلسطينية، ووحدات الجيش العربي السوري الموجودة في بيروت التي كان من مهامها تأمين تعزيز صمود أهالي بيروت، وتأمين كافة المرافق والخدمات من مستشفيات وأقران، وتأمين المستلزمات الطبية والأدوية والطحين، والعمل على حماية المنازل التي غادرها أهلها والمحافظة عليها من أعمال السرقة أو الاحتلال، هذا بالإضافة إلى الإشراف على جميع مخافر ومراكز الأمن بكل تفرّعاتها، إلى جانب إصدار نشرة **الثبات**، وقدم في هذه المواجهات أيضاً عدداً من الشهداء، وفي مقدمتهم عضو اللجنة التنفيذية في التنظيم محمد صالح سعود الذي يعتبر أول شهيد ناصري من هذا المستوى القيادي، إن كان على صعيد القوى الناصرية أو قوى وأحزاب الحركة الوطنية اللبنانية.

٦ - تم تكليف منير الصياد بشرف قيادة المقاومة في بيروت إبان الاجتياح الإسرائيلي عام ١٩٨٢، وكان في مقدمة القوى التي شاركت في صدّ هذا الإجتياح، وبشكل خاص في مثلث الكولا - الجامعة العربية - الإطفائية، حيث فشلت القوات الإسرائيلية في الدخول إلى المنطقة، ولم يسقط المقرّ الرئيسي للتنظيم المقابل لمركز فوج الإطفاء في الملعب البلدي.

٧ - قدم التنظيم خلال مسيرته في مواجهة مشروع التقسيم والدفاع عن عروبة لبنان ووحدته وتطوره الديمقراطي، وفي مواجهة العدوان الإسرائيلي، عشرات الشهداء من خيرة شباب لبنان، ومن كل المراتب التنظيمية.

٨ - أصدر التنظيم خلال مسيرته في تلك الفترة جريدة **القومي العربي**، ومجلة **الاشتراكي**، ونشرة **الشبيبة العربية**، إضافة إلى إنشائه إذاعة محلية باسم «صوت الثورة العربية».

٩ - ما زال التنظيم يمارس دوره في مواجهة الحرب الطائفية والمذهبية، ورفض الهيمنة، وصدّ الأطماع الإسرائيلية في لبنان.

وهو يقف مع كل من يتصدّى للمشروع الإسرائيلي.

وبمناسبة ذكر حصار بيروت واحتلالها من قبل العدو الإسرائيلي، لا بد من إيفاء بيروت حقها الذي لم تنله، ذلك أن بيروت في خضمّ هذه الأحداث كرّست صبغتها الناصرية، وذلك باحتضانها للمقاومة، وقد استطاعت بتضحيات أهلها جميعاً، كباراً وصغاراً، رجالاً ونساءً، شبيهاً وشباباً، أن تصمد في وجه الحصار، وكانت بذلك أشبه بستالينغراد، واستطاعت أن تحقق النصر، وتخرج المحتل في غضون بضعة أيام، وبذلك أصبح للناصرين مدنيهم التي تعرف بهم، ونالت بيروت بذلك شرف السبق.

خامساً: حول تصحيح بعض الوقائع

إن ما أورده الكاتب في سياقه العام، لم يكن بحثاً دقيقاً، ولا تحليلاً موضوعياً، بل كان أقرب إلى وجهة نظر شخصية تجاه التنظيمات، هذا بالإضافة إلى أنه وقع في أخطاء حول بعض تسميات التنظيمات التي وردت في الصفحتين ٥٧٤ و ٥٧٥ كما يلي:

١ - لم تكن جميع التنظيمات الوارد ذكرها موجودة في العام ١٩٧٣، بل إن أغلبها ظهر لاحقاً.

٢ - كان «التنظيم الناصري - قوات ناصر» و«التنظيم الثوري الناصري» من ضمن «اتحاد قوى الشعب العامل».

٣ - لم يكن هناك تنظيمان مختلفان بالاسم نفسه هو «وحدة القوى الناصرية»، بل إن جلال بكداش، وسنان براج، وسمير صبح، ومحمود عز الدين، كانوا معاً في التنظيم المذكور إلى جانب منير الصياد، ومحمد قباني، وناصر نصر الله، وعاطف الغضبان، وفؤاد بكداش، وكمال يونس، والشهيد محمد صالح سعود، ومحمود عز الدين.

٤ - كانت «الطلائع الوجودية الاشتراكية» من ضمن وحدة القوى الناصرية.

٥ - لم يظهر «الاتحاد الاشتراكي العربي - التنظيم الناصري» إلى الوجود إلا في ٢٥ كانون الثاني/يناير ١٩٧٤.

٦ - كان كلّ من التنظيمات التالية: «الاتحاد الاشتراكي العربي - الأفواج العربية»، و«الاتحاد الاشتراكي العربي - قوات الثورة»، و«وحدة النضال الناصري»، موجودة تحت اسم «وحدة النضال العربي» □